لا تكونوا أحجار الشطرنج

أشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله. أمَّا بعد، فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسم الله الرحمن الرحيم* الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين* إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ آمين.

﴿وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأَصلِحوا بينهما. فإنْ بَغتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تَبغي حتى تَفيءَ إلى أمر الله. فإن فاءت فأَصلِحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين* إنما المؤمنون إخوةٌ فأَصلِحوا بين أَخَوَيكم. واتقوا الله.. لعلكم تُرحَمون﴾ (سورة الحجرات:١٠-١١)

البترول أحرق تقواهم

منذ أكثر من عشر سنوات والمصائب الشديدة تتنزل على العالم الإسلامي، ولا تزال الأمة الإسلامية تعاني كثيرًا من المحن. ولو كان هذا الشقاء ينزل على المسلمين من خارجهم لكان شيئا مؤلما جدا، ولكن الأشد ألما ولا شك، أن الأمة الإسلامية نفسها هي المسئولة عما يصيبها من بلاء. لقد انقسم العالم الإسلامي إلى قسمين لسنوات طويلة، ودأب فريق منهم على خلق الشقاء والمصاعب أمام الفريق الآخر. لقد زوّدت الثروة البترولية منافع كثيرة لعديد من بلاد المسلمين، ولكنها في الوقت نفسه أحدثت بعض الأضرار كذلك. ومن بين هذه الأضرار، بل وأعظمها، أنهم فقدوا روح التقوى شيئًا فشيئًا، وصرف الثراءُ الدنيوي انهماكَهم ناحية الدنيا تمامًا. كان ولا يزال المؤرخون يسجّلون هذه الحقيقة قائلين: إن علامات التقوى كانت موجودةً في بلاد الإسلام عندما كانت فقيرة، ولكن يبدو كما لو أن ثروات البترول قد أحرقت تقواهم. وقامت حكومات المسلمين على أساس علماني دنيوي، مع أن مسئوليتهم الأولى أن يسلكوا سبل التقوى، وأن يَدْعوا مواطنيهم لمراعاة التقوى، وأن يقيموا العلاقات على أساس التقوى، وأن يحلّوا المشاكل بروح التقوى. ولكن الحال ليس كذلك.

أُنصُرْ أخاك ظالمًا ومظلومًا

إن تعاليم القرآن الكريم عالميةٌ، وقد لمس كلَّ مشكلة محتملة، ووصف لها العلاج المناسب أيضًا. فعلى سبيل المثال، نظر القرآن الكريم بعين الاعتبار إلى إمكان وقوع خلافات بين البلاد الإسلامية، قد تصل إلى حد أن تعتدي بعضها على الأخرى، وأن تتنازع وتتعارك. وعن هذا الاحتمال قال القرآن الكريم: ﴿وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأَصْلِحوا بينهما﴾..إذا ما نشب مثل هذا النزاع بين قوتين مسلمتين، كان الواجب على العالم الإسلامي بأجمعه أن يشترك ويسعى لإقرار السلام بينهما. ﴿فإنْ بَغَت إحداهما على الأخرى.. فقاتِلوا التي تَبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله﴾.. فإذا أصرّت إحدى القوتين على التمرد و لم تتوقف عن أعمال العدوان.. فإنّ الحلّ أن تتّحد كل بلاد المسلمين وتكون يدًا واحدة لتُخضع الفئة المتمردة وتقهرها. فإذا أبدت هذه الفئة استعدادًا للنزول على أحكام الله تعالى وقبول أوامره.. فيجب أن تتوقف أعمال القتال على الفور دونما تجاوزات ضدها، وتُبذَل الجهود من جديد لإقرار السلام بين الطائفتين المتنازعتين.

وأثناء بذل الجهود للمصالحة يجب أن تكون تقوى الله والقسطاس المستقيم في حسبان الجميع. ويعظ القرآن هنا مرة ثانية باستخدام العدل ويقول: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾.

ثم يقـــول القرآن المجيد: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.. فاذكروا هذه الأخوة بين المؤمـــــنين، وإذن ﴿فأصلِحوا بين أخويكم﴾.. أي ينبغي أن توطّدوا السلام بين إخوتكم.. ﴿واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

في ضوء هذه الآيات.. يتضح ويتأكد أمر واحد.. ذلك أن عالم الإسلام لم يضع في اعتباره هديَ هذه الآيات القـــرآنية لحلّ خلافاته. لو أن قوى الإسلام حاولت حلّ خلافاتها في نور هذا التعليم القرآني الواضح، لما شبّت تلك الحرب الدموية الفظيعة التي طال أمدها بين العرب وبين إيران، وإنما توقفت بعد شهور قلائل على الأكثر.

المشكلة أنهم يزِنون الأمور بميزان التحيّز، ولا يحافظون على روح التقوى. فانقسمت البلاد المسلمة على نفسها وتحاربت لإحدى عشرة سنة، وساعدت بعضها ضد البعض، متناسين المبدأ الإسلامي الذي يقضي بأن يتخذوا قرارًا موحدًا، وأن يعلنوا الحرب جبهة واحدة ضد الجانب المعتدي. كان على كل البلاد الإسلامية: باكستـــان وإندونيسيا وماليزيا وغيرها من بلاد شمال أفريقيا أن توحّد قوتها وتوقف عدوان الجانب المعتدي. لو أنهم فعلوا ذلك ما كان هناك ما يسمّى حرب العرب وإيران.

لا تتحاكموا إلى القوى الغربية

وثمـــة موقف مماثل مؤلم أمامنا اليوم بعد أن توقفت الحرب بين إيران والعرب، فها هم العرب قد انقسموا على أنفســـهم، وهـــاجمت دولةٌ عربية مسلمة دولةً عربية مسلمة أخرى. وهناك جامعة الدول العربية التي تأسست لتـــنظر في مثل هذه القضايا. سمعت تصريح أحد ممثليها في برنامج تلفزيوني، واندهشت من أنه على الرغم من طـــول التجربة المؤلمة التي عانوها إلا أنهم لم يستعملوا عقلهم بعد، وبدلاً من تطبيق المبدأ القرآني فإنهم يَعرضون مـــن عـــند أنفســـهم بعض المقترحات للتوفيق والصلح. ومما هو أشد ظلمًا أن بعض البلاد التي لا علاقة لها بالإسلام.. قد اتحدت وأخذت أهبتها للتدخل في النـــزاع، بل إن بعض البلاد الإسلامية تدعوها للتدخل.

لقد شاهدت في التلفزيون مقابلة مع خبير غربي أعلن فيها أنه بسبب الحرب الجارية بين العراق والكويت نشأت دائرتان مركزيتان.. إحداهما صغيرة، وهي دائرة العالم الإسلامـــي، والأخرى كبيرة، وهي دائرة العالم بأجمعه. قـــال: نحن ننتظر ونأمل أن تتنبه الدائرة الإسلامية إلى مركز النـــزاع وتنجح في وساطتها لحلِّه، ولكننا لا نرى آثار ذلك، وإنما هناك احتمال بضرورة تدخل الدائرة الكبرى في النـــزاع.

وفي هذه الخطبة الوجيزة أود أن ألفت انتباه العالم الإسلامي إلى ضرورة العودة إلى تعاليم الإسلام التي يمكن أن تحـــلّ لهم مشاكلهم. إنه لمِن أشد العار والضرر أن يتدخل العالم كله فـــي شؤون بلاد المسلمين، ويلعبوا بهم وكـــأنهم أحجار الشطرنج، ويستخدموا بعضهم ضد بعض كما كانوا يفعلون في الماضي. الواقع الحاضر هو أن المسلمين يستخدمون ثروتهم ضد إخوانهم. إن البترول الذي منحهم الله كبركة لعالم الإسلام، البترول الذي أتى برسالة التقدم العظيم للأغيار، وبفضله تجري عجلات صناعاتهم.. فكل مصادر الطاقة التي تتواجد منابعها

في بلاد المسلمين تخلق لهم وسائل الراحة.. هذا البترول تستخدمه البلاد الإسلامية ليحرق بعضهم بيوت بعض ويحولوها إلى رماد. هذا هو الواقع الذي لا تجد له تفسيرًا آخر.
لا يـــزال هناك بعض الوقت، إذ اتبع عالم الإسلام سبل التقوى، وعزموا على السير بحسب تعاليم القرآن فإن ذلـــك ســـوف يسدّ الطريق أمام أية قوة غير إسلامية، فلن تسعى للتدخل في شؤون بلاد الإسلام. إن العمل بحسب الآيتين القرآنيتين، يوجب حصر النــــزاع داخل العالم العربي، ذلك النــــزاع الذي انفجر بطريقة منذرة بالخطر الشديد. ذلك أنه لو استُبعد العالم الإسلامي عن هذه المشكلة، وجَعَلَها العرب مسألة محليّة لا علاقة لها بالإسلام.. فإن يد المعونـــة الإلهية سوف تُرفع عنهم. ليس في القرآن ذكرٌ لأمة معينة، وإنما الهديُ الذي يسوقه القرآن يذكر المسلمين على أنهم جماعة، وأنهم جميعًا إخوة.
فالمشـــكلة ليست عربية بأي حال من الأحوال.. إنها مشكلة العالم الإسلامي.. إنها تتعلق بإندونيسيا تماما كما تتعلق بباكستان، أو الجزائر، أو ماليزيا أو غيرها من بلاد المسلمين. ينبغي أن يتشكل مجلس من كل هذه البلاد ليضع التدابير الضرورية لإجبار الأطراف المتنازعة على التصالح. وإذا لم يُبد طرفٌ الإستعداد للتصالح فينبغي إذن أن تستخدم كل الدول الإسلامية قواها مجتمعة ضد القوة العاصية، وعليهم أن يطالبوا كل القوى غير الإسلامية بأن يرفعوا أيديهم عن المسألة، وألا يتدخلوا في شؤونهم، ويقولوا لهم إننا باتباع تعاليم القرآن.. قادرون بأنفسنا على حلّ مشاكلنا وحسم نـــزاعاتنا. ولكننا للأسف لا نرى آثار اتباع هذه التعاليم أو العمل بمقتضاها.

ضلّوا سبيل التقوى

إن واقعـــة الحـــرب بين العراق والكويت.. أو نقول الهجوم العراقي على الكويت.. تحمل في طياتها كثيرا من المخادعة ونقض العهود. إنها ليست خلافًا بين العرب وحدهم، ولكن دولا بترولية إسلامية أخرى متورطةٌ في هذا الأمر. فمثلا إندونيسيا كانت تشكو بشدة من الإخوة العرب المسلمين الذين يؤلفون منظمة "أوبك".. أنهم أنفســـهم ينقضـــون الاتفاقات في الخفاء، ومن ثم فإن كل نفع يمكن التوصل إليه عن طريق القرارات الجماعية ينقـــلب إلى خسارة. تلجأ كل دولة إلى وسيلتها الخاصة، وتحاول بيع بترولها سرًا لتجمع أكبر قدر من المال. وهكذا نجد نقصًا في التقوى خلف هذه الأعمال. فهي ليست مسألة حرب بين العراق والكويت، ولكنه ضعف التقوى فيما بينهم من تعاملات.
يجب على أية منظمة مسلمة دولية تقوم لعلاج المصاعب المترتبة على هذه الحرب بين الدولتين، أو هجوم دولة على أخرى، أن تصل إلى أعماق النـــزاع، وأن تمحص الأسباب التي تنشأ عنها تلك المواقف الخطيرة من حين لآخر، وأن يضمّوا إلى هذه المنظمة إيران على قدم المساواة، فلا تبقى بلد مسلمة خارج هذا الأمر. إذا أمكنهم فعل ذلك.. فكما يقول القرآن الكريم: ﴿والله يحبّ المقسطين﴾.. فإن محبة الله سوف تظاهرهم، وينالون العون الإلهي ويفلحون في جهودهم، ولا ريب. وقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأَصلِحوا بين أخَوَيكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون﴾ يعني ضرورة إقامة أواصر المحبة بين الإخوة.. فهم إخوتكم وإخوة بعضهم البعض. فاتّبعوا سبُل

الــتقوى لأن رحمــة الله من نصيب أهل التقوى. ومن ثم فكل أمرٍ يتعلق بالإسلام أو القرآن لا حلّ له بدون التقوى.

لقــد أوجــز سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام تحليل جميع المصاعب التي تواجه المسلمين في كلمات قلائــل، ولكــنها تحتوي على تحليل يحيط بكل المواقف.. قال حضرته: "لقد ضلوا عن سبيل التقوى." فاسم الإســلام بــاق، ولكن لم تعد هناك تقوى، لقد ضاعت منهم. وإذا ضاع طريق التقوى فلا يبقى شيء سوى التجوال في متاهات الأدغال وكثبان الصحراء.

ولكوني إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.. أقدّم نصيحةً مُلِحّةً متواضعةً إلى جميع إخواننا المسلمين، بغض النظر عــن أنهــم يعتبروننا إخوة لهم أم لا: إن أمة سيدنا محمد ﷺ تتعرض لأشد الأخطار، وإن كل القوى المناهضة للإسلام تتلمّس الذرائع لتتدخّل حتى في أموركم البسيطة.

ولقــد مضــى عليكم دهر طويل وهم يتلاعبون بكم كقطَع الشطرنج لا حول لكم ولا قوة، ويضرُّ بعضكم البعض أضرارًا بالغة. فعليكم من الآن أن تتمسكوا بالتقوى أشد التمسك. إن أمة محمد ﷺ يُنظر إليها في العالم اليــوم بعين العار، ويتخذون منها أضحوكة. تنظر كل القوى العظمى في عالمنا إلى العالم الإسلامي بالازدراء الشــديد، وتشعر أن دول المسلمين في قبضتهم كالفأر في براثن القط، بوسعها أن تلعب به كما تشاء ووقتما تشــاء، وتمســك بــه قبل أن يدخل الجحر. هذا هو الحال المخجل الذي يمثل أشد العار، ويلطخ وجه العالم الإسلامي باستمرار، ويتضرّر شرف الإسلام ومكانته. فاتقوا الله تعالى، وارجعوا إلى تعاليم الإسلام، وليس لكم من ملجأ سواه.

ثمرة الرفض

وإني لأشــعر بأن هذه المرحلة من المحن والانحطاط وما يرافقها من بؤس وشقاء.. ليست سوى ثمرة رفضهم للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. لا شك في هذا أبدا. ورسالتي الأخيرة لكم بهذا الصدد أن عليكم الإذعان لإمام الوقت. عليكم بقبول كل من يقيمه الله لكم، فهو الذي لديه المقدرة على قيادتكم. ومن دونه، تكونون كجسد بلا رأس.. جسدٍ يبدو في الظاهر حيًّا، ولكن الأطراف تضطرب من الألم والوجع، بينما الرأس الذي جعله الله لهداية الجسد وقيادته مفقود.

فعليكم بالعودة وتوطيد علاقتكم بالقيادة الربانية، لأنه لا سبيل لكم إلى السلام والرخاء بعد رفض القيادة التي أقامهــا الله تعالى. لقد طال زمن المحن.. أما الآن فيجب أن تتوبوا إلى الله عز وجل وتسعوا إلى غفرانه تعالى. دعوني أؤكد لكم.. أنه مهما كانت الأمور قد أوغلت في السوء.. لو أنكم استسلمتم اليوم للقيادة التي أقامها الله تعالى فإنكم ستنهضون قوة عظمى في هذه الدنيا، بل وسوف تنشط الحركة العظمى لسيادة الإسلام بحيث لن تستطيع قوة أخرى أن تحاربها، وأن ما يتطلب قرونا مديدة سوف يصبح مسألة عقود معدودة، بل سنوات قلائــل. وسواء لحقتم بنا أم لا، فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية سوف تخاطر بالجسم والروح والمال، كما هو دأبهــا مــن تقديم التضحيات في الماضي والحاضر، ولن تتوقف عن تقديم التضحيات في الغد كذلك. ولسوف

يُكـــتب شرف النصر النهائي من قدر الجماعة الإسلامية الأحمدية وحدها. فهلمّوا وكونوا من أهل هذا الحظّ التاريخي الطيّب المبارك. عسى الله تعالى أن يوفّقكم إلى فعل ذلك، وعسى الله تعالى أن يوفّقنا من خدمتكم.

لقد وُهبتم أفضل الخُدَّام الذين هم.. باسم الله تعالى وفي سبيله، وفي حب المصطفى ﷺ.. مستعدون ومتشوقون في كـــل وقـــت عصـــيب أن يقدموا التضحيات من أجلكم.. ولكنكم لا تنتفعون بهم وتحرمون أنفسكم من خدمـــاقم. وإن هذا لمن أشد سوء حظ العالم الإسلامي في الزمن الحاضر. عسى الله تعالى أن يمنحكم الفطنة والفهم!

أما عن الجماعة الإسلامية الأحمدية فإن نصيحتي لكم.. أنه سواء انتفعوا بكم أم لا، وسواء عدُّوكم إخوة لهم أم لا.. عـــليكم من خلال الدعاء أن تدأبوا على مساعدة أمة محمد ﷺ، وألا تنسوا أبدا تعاليم المسيح والإمام المهـــدي (عليه السلام) مـــا تعريـــبه: "ياقلب، تذكر دائما أن هؤلاء المعارضين من المســـلمين.. ينتسبون إلى النبي الحبـــيب ﷺ، ويدّعون بحبه. فمن أجل ذلك الحبيب كن دائما بهم مترفقًا."

عسى الله تعالى أن يوفقنا إلى فعل ذلك. آمين.

٣ أغسطس ١٩٩٠